المحاضرة الخامسة عشرة .
كلية العلوم الإسلامية – قسم التفسير وعلوم القرآن
اسم المحاضر : أ.د.أحمد قاسم عبد الرحمن
المرحلة : الدراسات العليا - الماجستير
اسم المادة انكليزي :
اسم المادة عربي : اتجاهات التفسير في العصر الحديث .
اسم المحاضرة انكليزي :
اسم المحاضرة بالعربي : محمد جمال الدين القاسمي حياته ومنهجه في التفسير .
مصدر أو مصادر المحاضرة : التفسير الاجتماعي عند المفسرين المحدثين " دراسة مقارنة " – سمية حسن بتال شاهر العاني – رسالة ماجستير مجازة من كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة الأنبار – ٢٠١٨م

محمد جمال الدين القاسمي حياته ومنهجه في التفسير

حياته الشخصية:

اسمه ونسبه: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، القاسمي ولد في دمشق سنة (١٢٥٩هـ- ١٨٦٦م) [١].

نشأته: نشأ القاسمي في بيت أبيه الذي كان ملتقى للعلم والعلماء والأدباء، حيث كان والده عالما جليلا وفقهيا يغلب عليه الأدب، وكان جده يعرف بالحلاق وكان من فقهاء الشام وصالحيها، في هذه البيئة العلمية نشأ جمال الدين القاسمي وفي أحضان هذه الأسرة التي كان لها الأثر الكبير في توجيهه نحو طلب العلم والسعي في الوصول إليه وتحصيله والاستزادة منه، فجد في طلب العلم ودرس أحد كتب البلاغة على يد أحد المشايخ قبل أن يناهز الرابعة عشرة من عمره[٢].

كان القاسمي إماما وخطيبا في دمشق، يلقي الدروس للعامة والخاصة ويشارك في الحياة الاجتماعية، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وارتقى في العلم والفضل، حتى صار من كبار علماء دمشق وكان يسميه الشيخ محمد رشيد (علّامة الشام) وقد خلف القاسمي أكثر من مائة رسالة وكتاب رغم انه عاش مدة قصيرة[٣].

(د)- **وفاته:** عاش القاسمي حياة قصيرة، لم تصل إلى الخمسين عاما، ولكنها حياة كانت مليئة بالعلم والعمل والإصلاح والتأليف، توفي رحمه الله في الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة (١٣٣٢هـ) ،الموافق الثامن عشر من شهر

---

(١) ينظر:الأعلام للزركلي: ١٣١/٢،تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي،لأنور الجندي:٣٥،حليه البشر في تراجم دمشق في القرن الثالث عشر،لعبد الرزاق البيطار: ٤٣٥/١،مجلة المنار- محمد رشيد رضا ص ٥٥٨، معجم المؤلفين،لعمر رضا كحاله: ٣/ ١٥٨، معجم المطبوعات،ليوسف بن إليان: ١٤٨٣، المذكرات،لمحمد كردي: ٣/ ٦٨٧- ٦٩٧، الاستئناس لتصحيح انكحه الناس، للقاسمي:١٣- ١٤، وموعظة المؤمنين، للقاسمي: ٩.

(٢) ينظر: القاسمي وعصره، لظافر القاسمي: ١٨٨.

(٣) ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، لصلاح الدين الخالدي: ٥٨٠.

نيسان (١٩١٤م) ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق، وقد نعته الأوساط العلمية والثقافية في جميع البلدان الإسلامية[٤].

منهجه في التفسير

إن منهج القاسمي الشامل لمختلف أوجه التفسير، لم يكن فيه القاسمي مجرد ناقل للآراء، بل نجده يحكم باجتهاده ويرد ما لا يرتضيه، مع تلطف في الرد والأخذ، فهو رحب الصدر ولم يخرج عن الأسلوب العلمي في النقل أو الرد ،حريص على الإشارة إلى المصدر، وقد تناول القاسمي تفسير سور القرآن حسب ترتيبها في المصاحف العثمانية فيذكر عند بداية السورة مقدمة تشتمل على اسم السورة وهل هي مكية أم مدنية ، وبما يبين الإطار العام للسورة ثم يشرع في الآيات، وعند ذكر اسم السورة يذكر سبب التسمية وإذا كان لها أكثر من اسم يذكره ويبين أسباب التعدد ويطيل في ذلك كقوله في سورة (الإنسان) وتسمى سورة (الدهر) و (الأمشاج) و(هل أتى)[٥].

ولا يفوته أن يذكر الخلاف حول المكي والمدني إن وجد ولا يتوغل في ذلك بل يكتفي بالتوضيح والإيجاز .

ثم يبين عدد آيات السورة التي يبدأ في تفسيرها وهذه هي الأمور العامة التي لا يهملها القاسمي عند تفسير القران الكريم،وهناك أمور لم يتطرق القاسمي لذكرها ولم يناقش ترتيب السور هل هو توقيفي أم اجتهادي[٦].

فبعد أن يمهد القاسمي لتفسيره بتلك المقدمة يبدأ بتفسير الآيات ويقسمها إلى مقاطع حسب ما فيها من معاني فيبين معاني، مفردات الآية تارة أو يقدم المعنى الإجمالي تارة أو يبين بلاغة الآية[٧].

---

(٤) ينظر: جمال الدين القاسمي، لنزار أباظة: ٩٣، وينظر القاسمي ومنهجه في التفسير،لحسين علي القيسي: ٢٤.

(٥) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي: ١٧/ ٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٥/٩.

(٧) ينظر:المصدر السابق: ٢٨٣/١١.

والقاسمي من المفسرين الذين لهم عناية ببيان أوجه التناسب بين الآيات وقد اعتنى المفسرون في العصر الحديث بهذا الجانب وجعلوا له أهمية كبيرة لأنه يبين الاتصال والترابط بين السور والآيات ويؤكد جانبا من إعجازه ،ويعدد القاسمي في بعض الآيات وجوها من التناسب ،متأثرا في ذلك بالإمام الرازي(٨).

ومما نلاحظ أن أسلوب القاسمي في تفسيره هو جمع بين ما قدمه المتقدمين مع إضافات جديدة أبرزها، أن تفسيره يشتمل على أوجه التفسير المتعددة، ويركز على أهداف المفسرين التي تتماشى مع الغرض من التفسير وهو بيان معاني القرآن الكريم وعلو شأنه وارتفاعه عن غيره من الكتب في كافة المجالات، وانه المعجزة الخالدة لكل زمان ومكان، فهو المعين الذي لا ينضب مهما تجددت العصور وتغيرت العقول، وهو صالح إلى آخر يوم في الحياة، وقد اعتمد القاسمي في تفسيره على المأثور فله الصدارة في تفسيره وهو يشمل ما ورد عن النبي(ﷺ) من تفسير أية بأية أو قران بسنة أو ما جاء عن الصحابة رضوان الله عليهم(٩).

وقد ذكر العلماء أول طرق التفسير وأحسنها هو تفسير القرآن الكريم بالقرآن وأصحها فهو المبين لمراد الله من قرآنه لأنه الأعلم بكلامه، وكثير من الآيات التي تبين أن الله هو المفسر لبعض آيات القرآن الكريم،وقد جعل القاسمي لهذا التفسير مكانه بارزة في تفسيره، فهو يبين إجمال آية بأخرى، ويبين تخصيص لفظ في آية بأخرى، أو بربطها بآيات أخرى في بيان أمر ما.(١٠)

وكذلك نجده يجمع بين النظائر من الآيات بمناسبة تفسير احدها. ونراه كثيرا يرجح معنى أو يستبعده لدلالة آية في مكان آخر من القرآن الكريم، وكذلك يستدل في القرآن الكريم على إثبات أمور في اللغة والنحو وعلى تعدد المعنى المراد من لفظ واحد، فهذه أهم الوجوه التي اعتمدها القاسمي في بيانه القرآن الكريم وهناك

---

(٨) ينظر:محاسن التأويل، للقاسمي: ١٦٣/١٦.

(٩) ينظر: الإتقان، للسيوطي: ٣٨٧/٢، مناهل العرفان، للزرقاني: ٤٨٠/١، و التفسير والمفسرون، للذهبي: ١٥٢/١.

(٤) ينظر: محاسن التأويل : ١٣٣/١٣.

كثير غيرها. ويعد تفسير القاسمي أكثر التفاسير تميزا في هذا الجانب وفاقها جميعا و خاصة تفسير ابن كثير الذي اخذ عنه هذه الطريقة في تفسيره(١١).

أما تفسيره للقرآن بالسنة فهي تختلف تبعا لدرجة دلالة الحديث على معنى الآية التي يفسرها، فهو يتصرف في أسلوب عرضه للسنة النبوية .

وهو يرد بشدة كل تفسير يخالف ما جاء عن رسول الله(ﷺ) ، وهو يكثر من الاستشهاد بالحديث النبوي لأن السنة شارحة للقرآن ومبينة لمبهم الآيات ومخصصة لعامها ومقيدة لمطلقها فهناك كثير من المعاني لا ندركها إلا بالرجوع إلى السنة النبوية الشريفة،ثم يأتي تفسير الصحابة والتابعين بالترتيب بعد السنة النبوية الشريفة وقد أكثر القاسمي في نقل ما ورد عن الصحابة الكرام في التفسير ويجمع بين روايات السلف ونقل أقوال التابعين،إلى جانب ذلك له عناية كبيرة بأسباب النزول وهي جزء من تفسير الصحابة والتابعين، والقاسمي بذلك يعتمد المنهج الصحيح ويسير وفق ضوابط تفسيرية لا يمكن تجاوزها أو مخالفتها(١٢).

وكان حريصا في تفسيره بعدم نقل الروايات غير الصحيحة ويبينه على وجودها، ويفصل القول في رد ما يراه غير صحيح معتمدا على خبرته في علوم الحديث،وإما موقفه من الإسرائيليات فانه ما يخالف شريعتنا أو يخالف العقل فانه يشدد في إنكاره وبيان عدم صحته، أما التي لم يقم دليل على صدقها أو كذبها من العقل أو النقل فانه قد يذكرها بإيجاز وبصيغة التعريض ويوضح أنها من أخبار بني إسرائيل(١٣).

هذا وقد اعتنى القاسمي بإرجاع الكلمات المفردة إلى أصولها وبيان تصريفها وهو ما يسميه علماء اللغة بالاشتقاق، فهو بذلك يحدد معنى الكلمة والمراد منها بالرجوع إلى أصلها. ومنها في تفسيره قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ

---

(١١) ينظر: محاسن التأويل: ١٣٣/١٣.

(١٢) ينظر: البرهان، للزركشي: ١٧٥/٢- ١٧٦، الإتقان، للسيوطي: ٣٨٧/٢- ٣٨٨.

(١٣) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي: ٩٢/٤.

وَٱلۡمَيۡسِرِۖ ﴾[١٤] قال: (أما الميسر فهو القمار- بكسر القاف- مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلها يقال يسرته إذا قمرته، واشتقاقه من (اليسر) لأنه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب، أو من اليسار، لأنه سلب يساره)[١٥].

وقد أعطى القاسمي مسائل النحو أهمية بالغة في تفسيره فاقت اهتمامه باللغة فهو سخر النحو لخدمة بيان المعاني القرآنية،وأول عناية نلحظها عنايته بوجوه الإعراب. ويكتفي غالبا ببيان القول الراجح لعدم الإطالة،وكذلك يبين معاني الحروف وما تؤديه من الإغراض اللغوية، وقد جعل القاسمي نفسه حكما بين أقوال النحاة ويرجح ما يراه، وأكثر ترجيحاته مبنية على أسلوب القرآن الكريم واستعمالاته اللغوية فهي القمة في الحسن والصحة وهي حجة على غيرها ويحسم الخلاف بها بين النحويين،ويميل إلى اقل وجوه الإعراب تعقيدا و أقربها للفهم مما ينسجم مع السياق العام، وجمع بين اللغة والنحو والقراءات في تفسير كثير من مفردات القرآن الكريم،ويتضح مما تقدم أن القاسمي يعتمد في منهجه على استعراض أقوال النحاة ويستشهد بها على معاني القرآن الكريم، مع عدم الميل لمدرسة أو مذهب ويقتصر على القول الراجح متأثرا بذلك بالمفسرين القدامى[١٦].

وان مما تميز به القاسمي في تفسيره انه قرن مع وجوه القراءات ما يترتب عليها في اللغة من وجوه الإعراب المتعددة، حيث يخرج القراءات لغويا ويوجهها توجيها صحيحا ومثال ذلك: في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ ﴾[١٧]. قال (اتفق القراء على فتح الصاد في (المحصنات) هنا. ويقرأ بالفتح والكسر في غير هذا الموضع، وكلاهما مشهور فالفتح إنهن أحصن

---

(١٤) سورة البقرة: ٢١٩.

(١٥) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي: ٣/٢١١.

(١٦) ينظر: القاسمي ومنهجه في التفسير، لحسين علي القيسي: ١٦٠- ١٦٤.

(١٧) سورة النساء: ٢٤.

بالأزواج أو بالإسلام والكسر على أنهن أحصن فروجهن أو أزواجهن واشتقاق الكلمة من الإحصان وهو المنع)[١٨].

والقاسمي عند نقله هذه القراءات يرى أن جميع ما ورد في القراءات السبع: متواتر جملة وتفصيلا عن الرسول(ﷺ)، وبذلك ينكر ما ذهب إليه الزمخشري أن مرجع القراءات هو الاجتهاد وليس السماع وقد عقد فصلا في تفسيره لهذا الكلام[١٩].

ولقد تعرض القاسمي في تفسيره لكثير من الأحكام الفقهية لكنه لا يبين الأحكام وفروعها بالتفصيل، فهو يجمل الأحكام المستفادة من الآية وهو منهجه العام في تناولها ولكنه فصل بعض الأحكام وناقشها مع الميل إلى الاستقلال وعدم الانتماء إلى مذهب معين.

وكذلك كان للقاسمي في منهجه في التفسير تركيزا على العقيدة ومباحثها حيث يقف وقفات طويلة عند تفسير آيات العقيدة حيث يتناولها بالتفصيل وقد أعطاها من العناية ما يفوق غيره[٢٠].

أما في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم فقد جعل القاسمي فصلا في مقدمة تفسيره بين فيه بعض المسائل العلمية الفلكية الواردة في القرآن الكريم وذكر في هذا الباب مسائل علمية لم تكن معروفة في زمن النبي(ﷺ) وهي تعد من معجزات القرآن الكريم العلمية الخالدة وهي آيات بينات دالة على صدق النبي (ﷺ) وصحة القرآن الكريم[٢١].

---

(١٨) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي: ٥/ ٩٦.

(١٩) ينظر: مقدمة جامع التفاسير، للراغب: ٣٠٤/١.

(٢٠) ينظر: محاسن التأويل: ٢٨٨/٢.

(٢١) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي: ٢٣٧/١.